المـر

ريتشارد رايف

ظهر المسرح الإذاعي في أفريقية – في الستينيات وبدأت المسابقة الأولى عام ١٩٦٦. وكانت تبث هذه المسابقة من إذاعة B.B.C في لندن.

- في المسابقة الثانية التي بدأت في السبعينات تقدم أكثر من (٦٠٠) نص مسرحي ومن بين هذا العدد الهائل من النصوص حصلت هذه المسرحية والتي بين أيدينا على الجائزة الأولى.

تألفت لجنة التحكيم من:

وول سوينكا Wole Soynka مسرحي وشاعر وروائي ومحاضر جامعي. ولد في نيجيريا في العام ١٩٣٤حيث قارب الميثولوجيا والتقاليد الأفريقية في الوقت الذي كان يستخدم فيه الأشكال الأدبية الغربية. بات سوينكا في العام ١٩٨٦ الكاتب الأفريقي الأول والكاتب الأسود الوحيد الذي حاز على جائزة نوبل للآداب.

مارتن إيسلينMartin Esslin كاتب بريطاني أول من استخدم عبارة «مسرح العبث» في دراسة نقدية عن كتّاب المسرح المعاصرين. صامويل بيكيت، إيوجين إينيسكو، جان جينيه.

لويس نكوسي Lweis Nkosi كاتب ومقدم برامج جنوب أفريقيا ولد في العام ١٩٣٦. لفت الأنظار لمسرحيته The Rhythms of Violence عن جوهانسبرغ في العام ١٩٦٤. بالإضافة إلى مجموعة من المقالات النقدية الهامة Home and Exile في العام ١٩٦٥.

ولد الكاتب **ريتشارد رايف** Richard Rive في جنوب أفريقية في العام ١٩٣١.

درس في كاب تاون Cape Town و حصل على B.A قبل أن يلتحق بجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية وهناك حصل على M.A ثم عاد إلى كاب تاون.

نشرت كتاباته على نطاق واسع وكانت تضم الشعر والقصة القصيرة ورواية وحيدة هي «حالة طارئة» واختير في عام ١٩٧٠ كأفضل كاتب في جنوب أفريقية وذلك عن قصته القصيرة «الزيارات».

نصه هذا أول نص مسرحي إذاعي له.

نص مؤثر وجميل

أولاً: لكونه تعرض لمشكلة تقنية صعبة جداً وهي امتلاك شخصيتين محوريتين في نص امتد لأكثر من نصف ساعة مع الاحتفاظ بعنصري التشويق والإثارة. وحركة المسرحية نفسها كانت مفتوحة على الدوام.

ثانياً: رغم أن الموضوع قد عولج مراراً إلا أن المسرحية عالجته بطريقة دقيقة وأظهرت ما يكمن خلف النص المكتوب.

مارتن ايسلين

عنيت هذه المسرحية بدراسة العلاقات الاجتماعية ليس بين الشخصيتين فقط ولكن بين الشخصية نفسها والواقع الاجتماعي والذي يظن كلاهما أنه أو أنها تفهمه.

يمكن القول إنها مسرحية ملفتة.

وول سونيكا

اخترت هذا النص ورشحته للجائزة الأولى للإمكانية اللغوية التي يحملها بين السطور.

لقد بدا النص وكأنه يقول الأشياء بوضوح، وذلك بنقله الحوار بين الشخصيتين محافظاً على عنصر التشويق بلغة رشيقة وحقيقية.

لويس نكوسي

الشخصيات

هو: ليونارد ديكسون.

هي: ايستيل كوهلر.

سجلت هذه المسرحية للإذاعة يوم الأحد ٢١ أيار ١٩٧٢

الممر

يرتفع صوت الموسيقا «الميسالوبا»
قرع على الباب يتكرر القرع خــلال
صوت الموسيقا.

هو : تفضل.

يتكرر القرع.

هو : تفضل

يفتح الباب.

هو : أوه! أهلاً.

هي: دهشت من رؤيتي. أليس كذلك؟

لقد وعدتك بأن أحضر وها قد فعلت. كنت واثقة من أنك لم تتوقع لقاءنا ثانية بعد مغادرتنا تلك السفينة المرعبة.

هو : نعم إنها حقاً لمفاجأة. تفضلي بالجلوس- لنرفع هذه الكتب.

اعذريني لا مقاعد عندي. خذي كرسيي- بإمكاني الجلوس على السرير.

دعينا نغلق هذا الجهاز.

هي: لا- لا تفعل أرجوك. إنها موسيقا رائعة ما اسمها؟

هو : ميسالوبا. هل سمعتها من قبل. إنها قداس كونغولي- تفضلي بالجلوس.

هي: إنها مثيرة راقية وبدائية في الوقت ذاته.

هو : هذا صحيح. ولكن دعيني أسكتها، وإلا فلن نستطيع الكلام.

يتوقف صوت الموسيقا.

هو : هذا أفضل، الآن بإمكاننا أن نسمع أنفسنا. إما أن نصغي إلى الموسيقا أو لا نصغي.

لا أؤمن بالحديث في أثناء الموسيقا.

هي: علي أن أحضر مرة أخرى كي أسمع هذه الموسيقا، هل قلت ميسالوبا؟ ستناسب مسرحيتي بالتأكيد.

هو : نعم عليك الحضور ثانية، هذا إذا لم تزعجك حالة غرفتي.

هي: ليس هذا بمشكلة «توقف» لعلك تتساءل لم أنا هنا؟

هو : حسن. أجرؤ على القول إن حضورك لم يكن متوقعاً إلى حد ما.

هي: آخر مرة تحدثنا فيها، كان ذلك قبل مغادرتنا السفينة في «كاب تاون».

هو : أذكر ذلك.

هي: لقد قلت إنني سأحاول رؤيتك إذا ما واجهتني بعض الصعوبات، لابد أنك تذكر ما تحدثنا به في تلك الأمسية.

هو : كان هذا منذ عام تقريباً.

هي: أكثر من عام. لسوء الحظ أنني في عجلة من أمري الآن. علي أن أذهب لفريق المسرح الذي أدربه في المنطقة الأفريقية. وينبغي أن أكون هناك في الثامنة كما أنني أواجه بعض الصعوبات معهم وأحتاج إلى نصحك. هل سمعت عن ممثلين يدعون مجموعة «نيانغا»؟

هو : نعم. أعتقد أنني قرأت.........

هي: لا أظن ذلك. قليل جداً من الناس يعرفون عنهم شيئاً. ولكنهم سيعرفون في القريب العاجل، على الأقل هذا ما أرجوه.

لقد طلبت مني إحدى القنصليات في المدينة أن أقدم مسرحية محلية لموظفيها. إنهم يريدون ممثلين سود بما أنهم يملكون الكثير من الزنوج في بيوتهم. هل يقول المرء سود أم أفارقة؟ لست واثقة

هو : قولي ما يحلو لك.

هي: لقد فكرت في الأمر لأسابيع مضت، أقصد بفكرة المسرحية، وجئت بفكرة لا بأس بها.

هو : نعم؟

هي: حكاية العبودية. التي تمتد من قارتهم إلى قارتنا أوه يبدو عليك الضجر. هل تريد سماع المزيد؟

هو : آسف. لم أتعمد أن أكون فظاً. تابعي من فضلك.

هي: تقع أحداث الفصل الأول في أفريقية. يبدؤون بأغنيات أفريقية محلية- ينبغي أن تتعرف إلى مجموعة «نيانغا» - النبض البدائي- الرقص والإيقاع - سعف النخيل - طبول الأدغال. أفريقية.

هو : تابعي.

هي: إذا كان يهمك. أما الفصل الثاني فهو حرفياً ودرامياً - المركز- الممر الأوسط - يؤسرون يوضعون في القوارب ويبحرون بهم عبر الأطلسي - قارب غاصٌ بهم - مقيدون - مساطون - مذلولون- الاشتياق للوطن - الحنين إلى الماضي. هل قرأت «روبرت هايدن» أظن بأنه أحد أشهر الشعراء الزنوج الأمريكيين. لقد تعرفت به مؤخراً، لقد كتب ملحمة رائعة تدعى - الممر الأوسط - وأود تسمية مسرحيتي بهذا الاسم. هذا إذا لم يمانع السيد «هايدن».

هو : لقد قرأت «روبرت هايدن».

هي: أحبه كثيراً.

هو : وماذا عن مسرحيتك كنت تتحدثين عن الفصل الثاني.

هي: ثم تأتي الخاتمة– ويعيشون كالعبيد.

هو : ماذا؟

هي: يعيشون كالعبيد. إنه مقطع من دراما مدرسية بالعامية. وقعت عليها عندما كنت أدرس في لندن – يحيون كالعبيد – يغنون الأغنيات الحزينة والسبيرتيوال[١] the Spirituals. من الممكن توظيف كل هذا وجعله مؤثراً جداً.

هو : «دهش أنا مع ذلك».

هي: عفواً ماذا قلت؟

هو : اقتطفت قولاً من شاعر أمريكي هو الآخر عظيم «كونتي كولين».

هي: زنجي هو الآخر؟

هو : لا أعتقد أن هذا مشكلة. لقد كان شاعراً فحسب.

«دهش أنا من هذا الشيء الغريب، فالشاعر أسود وتجبره على الغناء»

---

(١) نوع من أغان دينية يغنيه الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية. The spirituals

– توقف

هي: في الحقيقة إنه قول مؤثر. كيف يقولون؟ روح Soul[١]

هو : نعم إنه لمؤثر.

هي: ولكن هذا بالضبط ما أتيت من أجله إنني أواجه بعض المشكلات مع الممثلين.

هو : مشكلات؟

هي: نعم. سأوضح لك. أنا شخصياً صارمة بل وصارمة جداً فيما يتعلق بأمور العمل. خصوصاً فيما يتعلق بدقة المواعيد. وأعتقد أنهم مستاؤون من هذا. ومستاؤون من أنني بيضاء اللون بينما هم سود.

هو : ما علاقتي أنا بكل هذا؟

هي: حسن.... لنقل إنك في موقع وسط. وهذا ما يجعلك قادراً على التدخل. إذ أنك خلاسي، وبإمكانك التوسط بيني وبينهم. سوف يفهمونك وسوف أفهمك أنا وسيصغون إليك. أود إخبارك بالمزيد، ولكني أخشى من أنني تأخرت الآن. على كل حال سوف أحضر في الأسبوع القادم وأشرح لك كل هذا. أيمكنني ذلك؟

---

(١) السويل ميوزك Soul music موسيقا شعبية يؤديها تعمد المشاعر وإظهارها في الأغنيات. أشهر من غناه المغني الأسود جيمس براون. وهناك أيضاً السويل فود soul food

هو : في الحقيقة لا أعرف.

هي: أرجوك قل نعم. إنني أحتاج نصحك. ما رأيك أن نلتقي مساء الخميس القادم؟ هل يمكن أن آتي باكراً؟ في السادسة؟ التمرين يبدأ في الثامنة.

هو : ولكنني لن أكون قادراً على أن أطعم....

هي: لا تقلق بشأن هذا. سأمر عليك إلى هنا. وسنتناول شيئاً ما في شقتي وإذا لم تكن منشغلاً سأصحبك معي إلى التمرين – كن صريحاً معي. أرجوك لا تضيع وقتك من أجلي.

هو : حسن.... أعتقد أن يوم الخميس.....

هي: في السادسة. سيكون ذلك عظيماً. ((تبتعد عن المايكروفون)).

سأحضر لأخذك معي – أما الآن علي الانصراف والتوجه إلى «نيانغا». أحب موسيقا «ميسالوبا» – وذلك «الكونتي كولين». إلى اللقاء يوم الخميس.

يفتح الباب.

هو : إلى اللقاء.

يغلق الباب– «توقف قصير»

هو : «بنعومة» يالجهنم.

يرتفع فجأة صوت «الميسالوبا» عالياً وضاجاً.

هو : ياالجهنم «بصوت عال» ياللجحيم.

- يعلو صوت الموسيقا ثم يختفي -.

يرتفع صوت «الميسالوبا».

ثم قرع على الباب

يتكرر القرع.

هو : من - تفضل!

يفتح الباب.

هو : ياللجحيم! لأغلق هذا الشيطان أولاً.

تتوقف الموسيقا.

هو : .... مساء الخير - تفضلي - أعتذر إذا ما ظهر انزعاجي. لكنك فاجأتني. لاشك في أنني كنت فظاً.

هي: تبدو وكأنك لم تتوقع حضوري.

هو : نعم.

هي: حسن. ماذا تعني بكلمة نعم؟ هل كنت تتوقع حضوري أم لا؟

هو : في الواقع لا لم أتوقع.

هي: اليوم هو الخميس. ولقد اتفقنا أن نلتقي هذا المساء أم أنه يجب أن أذكرك دائماً.؟

كان يجب أن أحضر قبل ساعة لنتناول العشاء في شقتي، ولكن لا أعرف الآن إذا كنت تستطيع الحضور معي إلى «نيانغا».

هو : بالطبع – نعم بالطبع– أوه يالجهنم. اعذريني، فقد نسيت الموعد تماماً، ولكن لماذا لم تتصلي لتذكريني.

هي : لقد فعلت. اتصلت أربع مرات من السادسة حتى الآن لكن لا فائدة بما أنك رفعت السماعة عن الجهاز.

هو : نعم. نعم كم أنا سخيف. عادة أرفع السماعة عندما أكون منشغلاً.

كما تعرفين رنين الهاتف يقطع علي التركيز. أية ضجة مهما كانت بسيطة تزعجني وأنا أعمل

هي : أو لهذا كنت تسمع «الميسالوبا» بصوت عال؟

هو : معك حق – آسف بشأن كل ما حدث. في الواقع نسيت بشأن موعدنا الليلة تماماً.

هي : هل أنت متأكد؟

هو : أوه نعم. نعم ألا تصدقينني؟ لقد نسيت. نسيت فقط.

هي: ينسى المرء أحياناً لأنه من المناسب له أن ينسى هل لديك مشاغل هذه الليلة؟

هو : في الحقيقة...... أعرف أن كلامي ربما أسيء فهمه.... نعم أنا مشغول جداً هذه الأيام حتى أنني نسيت كل شيء في هذا العالم – نسيت الناس والمواعيد ولكنني بالتأكيد سأحضر معك هذا إذا لم نكن متأخرين.

هي: لم نتأخر كثيراً.

هو : حسن سأحضر، ولكني أريد أن أعرف ماذا تريدين مني بالضبط؟ فأنت لم تشرحي لي طبيعة المشكلة.

هي: حسن. أنا هنا لأنني أحتاج المساعدة. وبالتحديد أحتاج مساعدتك.

إذا تمكنت من المجيء معي فسأكون ممتنة لك. وإذا أردت عشاء خفيفاً لتستعيد نشاطك، فالعشاء ينتظرك في شقتي.

هو : لست واثقاً من أنني أستطيع تناول العشاء، لكن بالنسبة لموعدنا فسأحضر معك بكل تأكيد الآن – لأنني أفضل أن أعود باكراً كي أكمل عملي.

هي: إذاً تابع عملك الآن ولن أزعجك – بإمكاننا دائماً مناقشة مشكلاتي في وقت آخر وعندما لا تكون منشغلاً.

هو : أفهم ما تشعرين به.

هي: حسن..... سأراك فيما بعد.

هو : انتظري. لقد قلت لك إنني آت.

هي: هذا المساء؟

هو : نعم هذا المساء – متى تبدأ التدريبات؟

هي: في الثامنة تماماً. ولا أريد أن أتأخر.

الساعة الآن هي السابعة – لدينا وقت قليل لننطلق.

هو : حسن – اهدئي واجلسي. هل ترغبين بمشروب خفيف تهدئين به أعصابك؟ حقاً أنا آسف.......

هي: اسمع إذا كان ذلك يسبب لك الحرج، فمن الأفضل أن تبقى في البيت وتتابع عملك وسأتدبر أمري الليلة، وسأتصل بك خلال هذا الأسبوع، هذا إذا لم تكن سماعة هاتفك مرفوعة. وأنا أعتذر عن توريطك بكل هذا......

هو : أعلم بأن موقفي محرج، ولكنني أكرر وأعيد أنني نسيت تماماً بشأن موعدنا الليلة. يجب أن تصدقيني لقد نسيت، وأنا مستعد للحضور معك سواء كنت مفيداً لك أم لا. سوف أحضر.

هي: حسن..... إذا كنت مصراً فمن الأفضل أن ننطلق الآن وسأشرح لك كل شيء في الطريق.

هو : لحظة واحدة. سأحضر معطفي.

هي: هل أنت متأكد من أنك تريد الحضور.

هو : نعم متأكد تماماً O.K أنا جاهز الآن.

هي: تبدو وكأنك كثير النسيان.

هو : ماذا تقصدين؟

هي: لقد نسيت المشروب.

هو : يا للشيطان. حقاً لقد نسيت..... لاشك أنني أنهار

«يضحك»

يفتح الباب

أن أنسى المشروب لاشك أنني أنهار

يغلق الباب.

صوت سيارة تمشي – تتبدل السرعة – تستقر عند السرعة الثالثة، ثم وبعدما يبدو وكأنه صراع، تتغير السرعة حتى تصل إلى منتهاها، ثم يمضي المحرك بانسياب.

هي: آسفة، لأنني قطعت عليك العمل هكذا، ولكن لم أكن لأفعلها لولا حاجتي الشديدة لك، ولمساعدتك في التدريبات الليلة.

هو : نعم.

هي: يجب أن أفحص السيارة. لاحظ كيف أن السرعة الثالثة تبدو قاسية قليلاً. هل تعرف شيئاً عن علبة السرعة؟

هو : لا.

هي: كما كنت أقول. أعتذر عن اختطافك من عملك في مثل هذه الأمسية. أنا أعرف كم هو عملك هام بالنسبة لك.

هو : حسن. لا بأس.

هي: ماذا كنت تفعل عندما قرعت الباب؟ توقع على المقالات أم كنت تكتب؟ أعتقد أنك كنت تكتب شعراً؟

هو : كنت أكتب.

هي: عليك أن تخبرني ماذا كنت تكتب؟ هل تعلم بأنني مهتمة بعملك. صدقني بأني مهتمة، إذ ليس بإمكان أي شخص أن يكتب. وأنا واثقة من أنك سوف تصبح شاعري الأثير.

هو : نعم.

هي: هل نشرت الكثير؟

هو : لا.

هي: هل أنت آسف لمجيئك؟ لا يبدو عليك أنك تميل للكلام؟ أكرر أسفي وأنا واثقة من أنك كنت تعمل بموضوع هام. في يوم ما ستبرهن على أنك مفخرة......

هو: لمن...؟

هي: لـــ...... أوه. أفهم أن كلامي...... ربما بدا معسولاً و.....
في بعض الأحيان أخجل من كوني بيضاء اللون ومن كوني أرعى وأؤازر – السود ولكنك سوف تصبح مفخرة لـــ......

هو : لشعبي.

هي: الآن. لقد قلتها بنفسك، لسن أنا. نعم إذا فهمتها هكذا فليكن. ستكون مفخرة لشعبك.

هو : للشعب الملون. لمليوني ملون من جنوب أفريقية. أو ربما لعدة ملايين من ضمنهم السود.

هي: ليس هذا ما قصدته.

هو : هذا ما أعنيه أنا.

هي: هل قيادتي السيارة بسرعة تزعجك؟

هو : لا.

هي: إذاً فلأسرع قليلاً.

هو : إذا كنت تريدين ذلك.

هي: ولكن من الضروري أن نصل في الوقت المحدد، لا أستطيع أن أتحمل كوني متأخرة عن التدريبات بعد إبلاغهم مراراً أنهم ليسوا مكترثين بمواعيدهم.

هو : طبعاً لا يمكن أن تكوني مثالاً سيئاً في ذلك.

هي: نعم بطريقة ما. لا أعرف لم كل هذا؟ وبالطبع لا أريد منك أن تسيء فهمي ولكن هناك حقيقة يجب قولها. الأفارقة لا يحترمون المواعيد.

هو : ميزة عرقية سيئة.

هي: لا لم أقصد ذلك. فأنا أتحدث ضمن حدود تجربتي فقط. هل تعلم أنني لا أذهب إلى التدريبات إلا وأجد الجميع متأخرين.

هو : لابد أن هناك أسباباً لذلك.

هي: بالتأكيد هناك أسباب، ولكن ما عليك إلا أن تنتظر وترى. هل تعلم أننا الآن نغامر بحياتنا كي نصل هناك في الوقت المحدد. وهناك، وأنا متأكدة من ذلك، سوف نجد واحداً أو اثنين بانتظارنا فقط.

هو : هل الملونون أيضاً ليسوا دقيقين في مواعيدهم؟

هي: لم أنت فظ هكذا؟

هو : والبيض؟

هي: أعتقد أنك مجحف بحقي.

هو : هل البيض دقيقون في المواعيد؟

هي: إذا أردت جواباً. بعضهم دقيقون وبعضهم الآخر لا.

هو : وطبعاً فأنت من النوع الأول.

هي: من فضلك لا أريد أن تتشاجر بشأن هذا، إنني أبذل جهدي لمساعدتهم بإمكاناتي المتواضعة، وليس ذنبي أنني من لون مختلف، وأنني أعامل الجميع على السواء، وأحب كل الناس.

هو : ماعدا؟

هي: ماعدا ماذا؟

هو : عدا السود غير الدقيقين.

هي: أنت بالتأكيد لا تعني هذا، أليس كذلك؟

هو : لا أعتقد ذلك. على كل حال أنا آسف. إنني رفيق مزعج. أشعر وكأنني في جهنم. ذهني مازال منشغلاً بعملي. على المرء أن يكون قادراً على السخرية من بعض الأشياء أحياناً.

هي: على المرء أن يكون «قهقهة» إذا كنت أبيضاً فلن تتأخر.

هو : وإذا كنت ملوناً. فبعد الثامنة.

هي: أما إذا كنت أسود..... «يضحك كلاهما».

هو : «فجأة» ياللجحيم توقفي.

تتوقف السيارة فجأة ثم تعاود الانطلاق.

هو : ألم تري شرطي المرور؟

هي: لا – لم أره – من الأفضل أن تراقب الطريق أنت، إذ يجب أن نبقى على هذه السرعة، ليس لدينا الكثير من الوقت.

هو : اهدئي قليلاً، لست بحاجة لأن تبرهني على دقة مواعيدك.

هي: كان يجب أن أسلمك القيادة.

هو : ربما.

هي: هل أنت سائق ماهر.

هو : «بتوتر» لا أستطيع القيادة.

«يختفي صوت السيارة»

يسمع صوت السيارة، وهي تنعطف إلى إحدى الزوايا، ثم تنطلق مسرعة.

هو : نعم، لقد مر أكثر من عام حتى التقينا ثانية، اعذريني لأنني قطعت الحديث ولكن على ما يبدو أن سجائري نفدت.

هي: خذ واحدة من عندي، هناك علبة مفتوحة في التابلوه.

يبحث عن التابلوه. يجد علبة سجائر مفتوحة.

هو: هل أشعل لك واحدة؟

هي: لو سمحت.

يشعل عود ثقاب.

هي: شكراً. لماذا أشعلت واحدة فقط، ألا ترغب بالتدخين؟

هو : بل أرغب وبشدة، ولكن لا أستطيع أن أتحمل سجائر النعناع.

هي: آسفة بشأن هذا، سوف أتوقف عند أول دكان، ولكن هل أنت واثق من أنك لا تريد أن تدخن سيجارة نعناع ريثما نتوقف؟

هو : واثق تماماً.

هي: لا أشعر بالسرور عندما أدخن بينما أنت لا.

هو : لا تزعجي نفسك بهذا الأمر. كنت تتحدثين عن ممثلين «نيانغا» قبل أن ينقطع الحديث.

هي: كنت أقول بدا لي وكأنني أحسست ببعض الاستياء تجاهي من أول مرة ذهبت فيها إلى هناك.

هو : كيف حصل وأن ذهبت إلى هناك في البداية؟

هي: ذهبت لأنني أردت أن أقدم مساعدة – بعد أن وصلت من انكلتره، أو يجب القول بعد أن وصل كلانا، أحسست بأنه يجب أن أساعد المعدمين، أردت مساعدة الناس الذين يحتاجون للمساعدة.

هو : وهكذا فقد أعطيتهم مسرحاً. ولكن لماذا؟

هي: ماذا تعني بكلمة لماذا؟

هو : لماذا هؤلاء الناس؟

هي: طبعاً لا أريد أن أشرح المسألة، ولكن عليك أن تفهم أنهم يريدون شكلاً ما من المساعدة و لديهم الموهبة، فقد ولدوا ممثلين.

هو : كما ولد الفرنسيون عشاقاً، والطليان مغنين، واليهود......

هي: لا أقصد هذا، كل ما أعنيه هو أنهم يستطيعون أن يمثلوا. ربما كان ينقصهم الصقل، لكن بالتأكيد باستطاعتهم التمثيل.

هو : أود أن أطرح سؤالاً خاصاً.

هي: اسأل.

هو : هل عملك هذا مأجور.

هي: بالطبع لا.

هو : إذن لماذا تقومين به؟

هي: لأنني – وكما قلت منذ قليل – أردت أن أساعد فقط، إنني أرى الظلم في كل ما حولي وأشعر بالذنب بطريقتي الخاصة وهذا أحد العوامل حيث أعرف أنني أستطيع المساعدة.

هو : هل يجعلك ذلك تنامين بشكل أفضل في الليل؟

هي: لماذا تصر على الشجار معي؟ لا أظن أن ذلك له علاقة بالنوم. وإذا كان ما أفعله غير صحيح فلن أصر عليه. وسوف أتوقف عن ذلك. والأمر بهذه البساطة: سأتوقف عن ذلك، وأنا أعني هذا. وأريد منك أن تكون الليلة معي لأنني أحتاج شخصاً يخبرني فيما إذا كنت مخطئة أم لا.

ربما لم تكن وسائلي صحيحة. وأنا أعرف أنهم مستاؤون من شيء ما. ربما كان هذا الأمر في المسرحية ذاتها، وربما كنت أنا، لكنه موجود، شيء لا أستطيع معرفته ولن أستسلم حتى أعرف ما هو، وإلى أي درجة أنا مسؤول، وأريد منك أن تساعدني في الكشف عنه.

هو : ربما تبالغين قليلاً في الاعتماد علي والوثوق بقدرتي ما الذي يجعل شخصاً مثلي قادراً على أن يصدر أحكاماً عليك أو على أي شخص آخر خصوصاً فيما يتعلق بهذه المسألة.

هي: أشياء عديدة، تجاربك مع الناس هنا، وفي انكلتره. فأنت تعرف كيف تسير الأمور هنا، وكيف تسير هناك. لا أستطيع أن أعرف ماذا يعني أن يكون المرء أسود اللون... من الداخل. لابد وأنك تشعر بالاستياء أيضاً.

هو : منك؟

هي : نعم. مني.

هو : لا، لا أظن ذلك، إطلاقاً. لندخن.. أعتقد أنني أحتاج إلى سيجارة حتى ولو كانت بطعم النعناع، ولكن من فضلك لا تنسي أن تتوقفي عند أول دكان.

هي : حتى ولو كانت بطعم النعناع؟

يشعل عود ثقاب.

هو : تعرفين ولاشك أن قوة الإعلان قد أجبرت الناس على الاعتقاد بأن سجائر النعناع يمكن تدخينها.

هي : لست مجبراً على تدخينها.

هو : «اختيار هوبسون»[1] والآن ماذا تقترحين بشأن الأمسية اليوم وما الذي تتوقعين مني القيام به؟ أعطني التعليمات.

هي : لست واثقة من شيء. لندع الأمور تسير دون أي تخطيط. راقب ما الذي سيحدث ثم أعطني رأيك – لا أستطيع أن أتخيل أنهم لا يحبون المسرحية.

إنها النموذج الذي يستطيعون أن يحتذوه، والنموذج الذي يستطيعون الإحساس به.

هو : هل تقصدين العبودية؟

---

(١) عبارة للإعلان عن السجائر Hobson choice

هي: نعم، وكما قلت سابقاً إنها جزء من تجربتهم، جزء خارج من ماضيهم. ومازالوا قادرين على الإحساس به في حاضرهم. هي حالة من حالات إثبات الهوية.

هو : وكل ذلك بالطبع يحدث على مزاج بعض الأجانب؟

هي: لن أضعها هكذا. لقد طلب مني أن أضع في هذه الفرقة شيئاً ما، محلياً، أصلياً – وهذا ما أقوم به الآن.

هو : أوتعتقدين أن السود سيبتهجون بتصوير ماضيهم؟ أو حاضرهم؟

هي: ربما نعم وربما لا. لكنهم وبالتأكيد قادرون على ذلك..... وباقتناع أيضاً.

هو : وهل يرغب ممثلوك أن يقوموا بهذا..... وعن اقتناع؟

هي: نعم، إذا أردت أن تضع الأمور هكذا. ولكني أعرف أن هناك خطأ ما في مكان ما. إذ أشعر بأنهم يقومون ببعض التصرفات عمداً – يأتون متأخرين لا يحفظون السطور. إضافة إلى أنهم دائمو الامتعاض.

هو : جميعهم؟

هي: ليس الكل، الأكثر هم موهبة فقط.

هو : الأكثر حساسية.

«توقف طويل»

هي: لست واثقة مما تريد الوصول إليه؟

هو : أريد أن أصل إلى الحقيقة القائلة أن هنالك بعض المبررات لموقفهم هذا، ربما لا يحبون صور ماضيهم وتصوير حاضرهم، يذكرهم بـــ......

توقف مفاجئ للسيارة.

هو : ماذا هناك؟ لماذا توقفت؟

هي: دكانك يا سيدي. أنا واثقة أنه بإمكانك الحصول على سجائر تفضلها.

يطفئ محرك السيارة.

يرتفع صوت السيارة.

هي: «بهدوء» لا أظن أنه من المتوقع أن نعرف بالضبط ما الذي سيكون عليه المشهد هذه الليلة؟ ولكن من أصغر التفاصيل التي أخبرتك بها، هل يبدو وكأنني أنا الملومة بأية حال من الأحوال؟ إن هذا يقلقني.

هو : لا أستطيع الإجابة عن ذلك. كما إنني لست بقادر على إصدار أحكام بما أنني لا أعرف الحقائق.

أنا في العتمة تماماً، وبالنسبة لفهم هذه المواقف فأنا أكثر جهلاً مما تظنين. لقد طلب مني الحضور لأنك تعتقدين بأنه يمكن التعويل على نصائحي. صحيح؟ هل أستطيع أن أعترف بكل شيء الآن؟

هي: إذا كنت ترغب بذلك؟

هو : هل تدرين بأنني نادراً ما زرت مناطق أفريقية، و بالتأكيد فإنني لم أزر منطقة «نيانغا» من قبل.

هي: لا أستطيع تصديق ذلك.

هو : ولكن ما قلته صحيح تماماً. هذه هي المرة الأولى التي سأذهب فيها إلى ذلك الموقع مذ كنت طفلاً.

هي: أليس لك أصدقاء سود؟

هو : كنت أعرف واحداً أو اثنين. كان ذلك في الجامعة. هذا كل شيء، هل تعرفين أن العزلة في هذا البلد احتكار للبيض؟ نحن الملونين معزولون عن البيض والسود، لقد عشت حياتي على بعد عدة أميال من «نيانغا»، ومع ذلك لم أذهب إلى هناك أبداً.

لكنني زرت لندن وروما وباريس، وعشت في بيوتات البيض في أوروبا بيد أنني لم أدخل أبداً إلى بيوت السود هنا، وبالرغم من كل شيء، أعرف بأني مازلت قادراً على العيش في «هيث هامبستيد»

هي: لاشك أنك تبالغ. فهناك المرأة الأفريقية التي تنظف لك البيت.

أليست من «نيانغا» ألم تذهب إلى بيتها أبداً؟

هو : ليست لدي أية فكرة فيما إذا كانت أفريقية أم لا. ولم يخطر في بالي بأنه من الأهمية أن أعرف. لابد أنها من مكان ما. ولكن ليست لدي أية فكرة فيما إذا كانت قد أتت من «نيانغا» أو من «لانغا»، أو من «كينسغنتون» أو فيما إذا كانت تعيش في ساحة دار شخص ما في «كونستانتثيا» وفي الواقع لم أكن لأحرص على أن أتحقق من هذا الأمر، بما أن الفرصة لم تسنح لهذا.

كان يمكن أن تأتي من عالم مختلف، من كوكب مختلف.

هي: و....

هو : إذا حدث أنها لم تعد في أحد الأيام، فلن أعرف أين أستطيع البحث عنها. وأنا أفعل هذا عامداً، حتى لا أتورط مع الآخرين.

هل تعلمين بأنني لا أجرؤ على الدخول في صداقات حميمة، حتى أقتنع تماماً بهذه الصداقات.

إضافة لذلك لست مستعداً للحميمية وإرباكاتها، ربما أبدو مغروراً، ولكن لا أستطيع أن أتقبل كوني مجروحاً.

هي: إذن هذه هي طريقتك في الحياة؟

هو : نعم هكذا أحيا.

هي: هل تقبلني صديقة لك؟

هو : لست متأكداً.

هي: أو لست صديقة لك؟

هو : لا أستطيع قول ذلك... هناك عوامل عدة.

هي: اللون مثلاً؟.

هو : هذا أحد العوامل. وهو يشكل حاجزاً، ولكن ربما لا.

هي: بدأت أشك فيما إذا كنت قادراً على مساعدتي هذه الليلة.

هو : نعم، أشك في أن أكون مفيداً لك اليوم. وفي الواقع لست أدري لم أتيت معك.

كل شيء كان يقول بألا أحضر...... كان بالإمكان أن أقول ذلك من قبل. لست متأكداً من أنني كنت أعرف هذا من قبل. لماذا أتيت وعرضت نفسي لكل هذا؟ الضمير؟ الفضول المريض؟ ألكي أكون ذا نفع؟ لأجد وجهة نظر أكثر موضوعية؟ لا ليس أحد هذه الأسباب ما دفعني للمجيء... ربما لأنك... أنت. والموقف هو.... حسن. الموقف هو ما عليه الآن. ولأنني أنا، سأكون أكثر اضطراباً مما كنت عليه من قبل. لا أعرف.. حقيقة لا أعرف.

هي: كل ما أريده، هو أن تقول لي فيما إذا كنت مخطئة في شيء، ربما كنت الملومة في كل هذا، بالرغم من أنني أشعر بأنهم ليسوا مستائين كثيراً من شخصي أنا. بقدر ما هم مستاؤون مني كممثلة عن البيض.

هو : إذن فهم يتعاملون مع جميع البيض على السواء.

هي: ربما كانوا كذلك – أو تعرف أنت؟ وأنا أعني أنهم ربما كانوا يحسون بالطريقة ذاتها لكنهم غير قادرين على إظهارها. في بعض الحالات يستطيعون، وفي حالات أخرى لا.

في حالتي هم قادرون. فأنا امرأة مهيضة الجناح لدي ضمير وأريد أن أساعد.

هو : ربما.

هي: إذن من الممكن لموقفهم هذا أن يكون موقفاً شخصياً، لقد نشأت في مدرسة صارمة، وتربيتي كانت قاسية، وعندما تلقيت تدريبي المسرحي في أوربا كان ذلك صعباً. ولو أراد الناس في «نيانغا» أن يصبحوا ممثلين فما عليهم إلا أن يتعلموا الانضباط والنظام، ليس بإمكانهم أن يتأخروا عن التدريبات دون أن يحاسبوا على ذلك.

هو : وهل أنت واثقة من أنهم يريدون أن يصبحوا ممثلين؟

هي: من وجهة نظر الهواية نعم، هم يريدون. ولكن عليهم أن يتصرفوا كممثلين حقيقيين. ولا يجب أن يكون هناك أي تسامح، لأنهم ليسوا محترمين أو لأنهم سود.

هو : أو لأنهم أجلاف.

هي: أو لأنهم أجلاف نعم. الساعة الثامنة هي الساعة الثامنة في كل لغات العالم. انتظر وسوف ترى. أراهن على أنهم لن يأتوا في الوقت المحدد. ربما أتى بعضهم، أما البقية فسيلهون في فراغهم. بإمكاني إعطاءك الكثير من الأمثلة. بربك هل ترضى بهذا النمط من السلوك من أي شخص آخر؟

هو : لا أعلم، ليست الإجابة بهذه السهولة. فالتسامح يجب أن يكون مع أي شخص لديه ظرف ما.

هي: حسن، ولكن ألم أتسامح معهم كثيراً في السابق؟ كم سأبقى أضحي لأنني بيضاء؟ هل أنا المسؤولة عن اضطهادهم؟ هل أنا التي وضعتهم في هذا الموقع؟

أينبغي لي أن أعاني من عدم التزامهم بالمواعيد بصمت؟ هل ابتسم لسخرياتهم؟ هل أبتهج بتعليقاتهم المهينة بلغة يعرفونها ولا أستطيع أن أفهمها؟ أيجب أن أعاني من كل ذلك لأنني فقط مستعدة للعطاء؟ للمساعدة؟

هو : احذري إن استشهادك يظهر الآن.

هي: وأنت أيضاً لا يبدو عليك بأنك مختلف. كنت تتشاجر من اللحظة التي ركبنا فيها السيارة. قل لي في أي صف تقف؟ ماذا تريدون أكثر من ذلك؟ أيجب أن أغير لوني؟ أو أنتقل إلى السكنى في منطقتهم؟ أو أقذف القنابل؟ هل أستحق أن أعامل هكذا؟

هو : أخبريني بصدق كيف تحبين أن تعاملي؟

هي: كإنسانة –كسيدة.

هو : أو كسيدة بيضاء.

يرتفع صوت السيارة – يختفي الصوت.

يظهر صوت السيارة من جديدة.

هو : ربما كان الفصل الرابع أكثرها إثارة.

هي: الفصل الرابع؟ لست أفهم ما تعنيه.

هو : الفصل الرابع من مسرحيتنا. الفصل الرابع من الممر الأوسط. أنت مقابل ممثلي «نيانغا».

هي: أوتظن أن هذا الفصل سيكون الأكثر إثارة؟

هو : أو الأكثر كشفاً. أيهما تفضلين؟

هي: الكشف عن ماذا؟

هو : حسن....... عن المواقف – عن العلاقات الإنسانية – عن اللون – سمها ما تشائين إن أفضل المسرحيات هي التي تمثل خارج الخشبة. وأعلم أن هذه عبارة مبتذلة، ولا تغتفر، لكن أفضل المسرحيات توجد في الحياة الحقيقية.

هي: إن العالم برمته، ما هو إلا خشبة كبيرة، أو شيء من هذا القبيل.

نعم أنت محق – وأخشى أن تكون هذه عبارة مرعبة لقد قلت من قبل..... أفضل

هو : كم بقي لدينا من الوقت. بدأت أقلق من أننا سنتأخر – لقد أصبت بالعدوى منك.

هي: سنصل في الوقت المحدد تماماً. لا تقلق – سنصل خلال بضع دقائق.

هو : هذا المكان جديد تماماً لي. أعني الموقع. إنه مثل كوكب آخر، عالم آخر.

هي: هل تقصد «نيانغا» نعم تبدو مهجورة، أليس كذلك.

هو : كنت أتوقع أن أجدها مزدحمة بالناس.

هي: لكن هناك ناس....

هو : نعم أنا أعرف. هناك ناس في الشوارع، من المؤكد أنها ليست مهجورة لكنها خالية. وهنالك فرق.. أحياناً تبدو الأشياء الهامة مفقودة.

ربما كانت الرتابة هي التي تعطي المرء شعوراً بالوهم – الشوارع – البيوت – الأضواء – جميعها تبو واحدة. وهناك شيء يتعلق بالوجوه. يظهر على الجميع التعبير نفسه خصوصاً البالغون منهم.

وفي الغالب تبدو نظراتهم مستسلمة، صابرة. ربما ليست كذلك – لكنها تبدو كذلك. هل تبدو لك كذلك؟

هي: لا – بالرغم من أنني أعرف بعض الناس هنا.

هو : لدي عدد قليل من الأصدقاء فقط، وأنا لا أختارهم من منطلق اللون.

هي: لكنني أعرف هؤلاء الناس جيداً. وبإمكاني أن أدعوهم لزيارتي في شقتي، ولكنني أعرف أنهم لن يأتوا.

هو : هل جربت؟

هي: لا لم أفعل، لكنني أعلم جيداً بأنهم لن يأتوا. سيقولون نعم، ويعدون، لكنهم لن يأتوا.

هو : أو إذا كانت لديهم أجهزة هاتف..... فسوف يرفعون السماعة عن الجهاز.

توقف طويل، ثم تتوقف السيارة.. يفتح باب السيارة.

هي: ها قد وصلنا في الوقت تماماً.

تغلق أبواب السيارة.

هي: اتبعني لو سمحت. من هنا.

موسيقا البوب – أصوات تسمع من خلف الباب.

هي: هذا هو المكان. لابد أنه سيجري نقاش مثير بعد قليل.

هو : أتساءل فيما إذا كان ذلك ضرورياً.

هي: هذا هو الباب الذي يؤدي إلى الصالة. إنهم يعزفون البوب.

يفتح الباب. صوت موسيقا البوب يعلو – تتوقف الأصوات.

هي: «تهمس بصوت مسموع، قريب من خلال صوت الموسيقا» من فضلك خذ أي مكان، وتذكر ما قلته لك. خمسة ممثلين من أصل عشرين تضمهم الفرقة. أما البقية فربما يحضروا وربما لا.

هل تسمحون وتوقفون آلة التسجيل.

تتوقف الموسيقا.

مساء الخير. هل نحن جاهزون للعمل. كالعادة يوجد بعض منا هنا فقط.

نتمنى أن يحضر الجميع بعد قليل. طبعاً لا نستطيع إضاعة الوقت مهما كانت الأسباب.

سيبدأ العرض خلال ثلاثة أسابيع فقط. لذا كلما أسرعنا هذه الليلة كلما كان ذلك أفضل. سيكون علينا أن نرتجل طالما نحن مستمرون في العمل. اليوم O.K ؟ والآن دعونا نبدأ بالفصل الأخير، الفصل الثالث. نحن الآن في العالم الجديد، في المستعمرة. خذوا مواقعكم. هل تسمعوننا الموسيقا الجديدة لو سمحتم.

تبدأ موسيقا «الميسالوبا» بهدوء.

هي: الآن – الجميع لو سمحتم – انتشروا أكثر أكثر... أريد منكم أن .... أن تظهروا مثل العبيد.

موسيقا «ميسالوبا» عالية جداً.